

أحمد بلو سرَدُونَا: رجلُ الدَّولة والدَّعوة

د. محمد الثاني عمر موسى

محاضر بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة بايرو كنو
مدير مركز الإمام البخاري للأبحاث والترجمة - كنو ، نيجيريا

المدخل :

المسلمون اليوم في نيجيريا في ظلّ الأوضاع التي يعيشونها سياسياً واقتصادياً وأمنياً أصبحوا في أشدّ حاجةٍ من أي وقتٍ مضى إلى إعادة قراءة تاريخ زعمائهم وقادتهم الأوائل، بل هم في أمسّ حاجةٍ من أي وقتٍ غير إلى تذكيرهم بمآثر أسلافهم وأمجاد أجدادهم. لقد كان أجدادهم مؤسسي دولة إسلامية قوية قامت على أساس من العدل والمساواة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حكمت شعوبها دهرًا طويلاً في ظلّ الإسلام وحاكميته، ثم دبّ إليها الوهن ، وركبها الفتور والضعف، وآلت إلى الذبول، إلى جاء الاستعمار وقضى على ما بقي من حطامها ، وتركها عصفورة لا ريش لها. ثم نهض واحدٌ من سلالة سلاطينها العظام يسعى ليعيد شيئاً من بريقها، وإن كان يعيشُ عصرًا غيرَ عصرِ سلفه، ووضعًا غيرَ وضعهم، وفي محيطٍ مُباينٍ تمامًا لمحيطهم، لكن كان ملؤه الحماس والنشاط لكي يرى أمته وشعبه مرفوعي القامة، رافعي الرؤس بعد أن أذلهم الاستعمار واستعبدهم الجهل والامية... عمل جاهدًا بإخلاصه وفكره وسياسته، مُجددًا من غير هواده أو فتور إلى أن امتدّت إليه يدُ الغدر والخيانة فأطفت ذلك النور الذي بدأ يشع في سماء أمته، ووادت ذلك الأمل في طفولته، وذلك في عام 1966م؛ إنه الزعيم الكبيرُ والعَملاقُ الرَّاحلُ أحمد بلو سرَدُونَا تغمده الله بواسع رحمته.

هذا الرجل الذي نذر نفسه لنشر الدعوة في غرب إفريقيا إحياءً لآثار جدّه الأعلى عثمان بن فودي، «وكان يرى ضرورة جعل نيجيريا دولة إسلامية بنصّ الدستور حتى لو كان يؤدي ذلك إلى انفصال شمال نيجيريا من الكتلة الفيدرالية، وهذا مما أعاظ النصارى والملاحدة والصّهاينة والدول الغربية عامّة وقد شاهدوا ملامح النّجاح وتباشير الانتصار للرجل، وأيقنوا أنّه لو عاش طويلاً لما وقف أمامه شيءٌ يمنعه من تحقيق أهدافه، لذلك تحيّنوا غفلته واغتالوه وأنصاره من المدنيين والعسكريين»⁽¹⁾.

(1) الإلوري، آدم عبد الله: الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، مكتبة وهبة، القاهرة ، ط. الأولى 1405هـ، ص 81-82.

إننا في هذه السطور سنحاول إلقاء الضوء على جانب من جوانب حياته الكثيرة، لكي نذكر قادة هذه الأمة بماثر هذا الرجل وحبّه لدينه ولأُمَّته وغيّرته على شعبه وثورات أجداده، حتى يدركوا أنّ الإنسان إنما يحيى بعمله الخالد، ونيّته الصادقة، وما بذله في سبيل دينه وأُمَّته وشعبه، لا بما جمعه من ثروة فاسدة، أو ما ناله من شهرة زائفة، فإن ذلك زبدٌ يذهب جُفاء.

أولاً : محطات في حياة الحاج أحمد بلو سردونا :

لقد سطر الحاج أحمد بلو سردونا كثيراً من أحداث طفولته وسيرة حياته، وصور بقلمه أيامه الأولى في قريته (رابا) مروراً بحياته العلمية إلى تولّيه منصب رئيس وزراء الإقليم الشمالي النيجيري، وذلك في كتابه : (My Life) أي : (حياتي) وهو كتابٌ في 264 صفحة، مطبوع باللغتين : الانجليزية ، والهوسا، ونحن سنعتمد عليه في سرد أحداث هذه المرحلة لحياة سردونا اعتماداً كبيراً باعتباره أصحّ وثيقة تتحدّث عن حياة هذا الرجل الكبير، ولا مانع أن نُشير إلى غيره في بعض الأحداث .

1- هو أحمد بلو بن الأمير إبراهيم بن أبي بكر بن الأمير محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي.

وُلد سنة 1909م⁽¹⁾.

2- وكان والده رئيس مركز قريته (رابا)⁽²⁾ وكان إنساناً متديناً⁽³⁾، وكان يصفه شعراء هوسا بأنه أمين، وأنه (ذو القرن المهاجم)، والسبب في هذا الوصف - كما ذكروا - أنه لما دهمهم المستعمر كان من بين الذين دافعوا عن مملكتهم ببسالة⁽⁴⁾.

3- وكان جدّه هو السلطان أبو بكر الذي يلقب بـ (عتيق) ، وكان سلطاناً عادلاً ، لم يكن يأكل من المال العام، وإنما كان يكتسب لنفسه، وكان عالماً باللّغة العربية والعلوم الإسلامية، والتاريخ الإسلامي⁽⁵⁾.

4- وأما جدّه الأعلى، فهو محمد بلو بن الشيخ المجدد عثمان بن فودي، الذي وطّد أساس الإمبراطورية الإسلامية العثمانية، صاحب التّأليف الكثيرة. وكان (سردونا) يخلو له الانتساب إليه دائماً، ويستلهم منه معاني العزة والمجد الإسلامي في نضاله.

(1) Paden, John N., Ahmadu Bello Sardauna of Sokoto , (1986) Zaria, Nageria, p.73

(2) Sardauna, Ahmadu Bello: My Life, p 20

(3) انظر : جون فادن : المصدر السابق، ص 75.

(4) انظر : المصدر السابق، ص70.

(5) انظر : المصدر السابق.

تُوفي والدُه إبراهيم وعُمره ستّ سنين، وتولَّى رئاسة مركز القرية (رابا) عمّه، لكنّه لم يلبث إلاّ ثمانية أشهر فقط حتى أزيح ، وجاء مكانه ابن عمّه (1).

5- في الخامسة من عُمره أخذَه والدُه ومعه أخواته الصّغيرات إلى كُتاب القرية، عند مُعلّم يُدعى (مالم غرّبا) ، ليتعلّم منه القرآن واللّغة العربيّة. وكان الكُتاب عبارةً عن ظلّ شجرة يفترشه التلاميذ لا يتجاوز عددهم أربعين تلميذاً (2).

6- مكث أحمد بلو في الكُتاب سنّتين، ثم أخذَه أخوه إلى مدينة صُكُتو، وتبعد عن قريته (رابا) عشرين ميلاً، ليُلقّقه بمدرسة ابتدائية هناك (3).

درس في المدرسة الابتدائية جانباً من العلم الحديث؛ من اللّغة الإنجليزيّة والحساب، والتّاريخ، لكنّه أبدى أسفه حين رأى أنّ التّاريخ الذي يدرسه هو تاريخ (انجلترا) بدلاً من تاريخ بلاده ، لكن مع ذلك كانت مادّة القرآن الكريم تُدرّس بجانب تلك المواد (4).

كان جاداً في دراسته غير متهاونٍ بوقته... كان يستيقظ بالليل ليُذاكر دروسه تحت ضوء الفانوس الباهت (5)، مما جعله بعد خمس سنين يتخرّج بنفوقٍ ، فجاء ترتيبه الأوّل في فصله (6).

7- في عام 1926م انتقل إلى كُليّة تدريب المُعلّمين في كسينا التي درس فيها لمدّة خمس سنين، ليتخرّج بعد ذلك معلّماً، وقد كان الهدف منها أساساً هو تخريج المُعلّمين، فأكثر من درّسوا فيها كانوا يتخرّجون ليزاولوا مهنة التّعليم بعد ذلك، لذلك فإنّ أكبر الشّخصيات التي كان لها دورٌ في تاريخ نيجيريا هم من خريجي هذه المدرسة ، بل إنّ أوّل رئيس الوزراء للحكومة الفيدرالية وهو أبو بكر تفاقوا بليوا كان من خريجي هذه المدرسة، وكان مدرّساً في يوم من الأيام (7).

8- بعد أن تخرّج في تلك المدرسة عاد إلى مدرسته الأولى في صُكُتو ليدرّس بها ، وكان مدرّساً للّغة الإنجليزيّة والهندسة، بالإضافة إلى مبادي

(1) سرّدونّا، أحمدو بلو : سيرته الذاتية : My Life ص 8 .

(2) انظر : المصدر السابق، ص8.

(3) انظر : المصدر السابق، ص8.

(4) انظر : المصدر السابق، ص21.

(5) انظر : المصدر السابق، ص 21.

(6) انظر : المصدر السابق، ص25 .

(7) انظر : المصدر السابق، ص35 .

اللغة العربية⁽¹⁾. وقد عُيِّن أيضاً مسؤولاً رياضياً؛ لأن التقرير عنه من مدرسته في كسينا قد وصفه بأنه (رياضي ماهر)، وأنه كان اجتماعياً بالطبع يحسن التعامل مع الآخرين⁽²⁾.

9- في عام 1934م عيَّنه السلطان رئيساً لمركز (رابا) مسقط رأسه بعد وفاة ابن عمه، فصار أصغر رئيس من بين 45 رؤساء مراكز إمارة صُكُتو، إذ كان عمره آنذاك أربعاً وعشرين سنةً. ودخل بذلك طوراً جديداً في حياته الوظيفية والإدارية⁽³⁾.

وبوصوله إلى هناك كان أول عملٍ أقدم عليه بكلِّ جديةٍ، هو قضية مكافحة الجهل والامية المنتشرة بشكلٍ فاحش في قريته بحيث لا يوجد فيها من يعرف القراءة والكتابة سواه، فأنشأ مدرسةً تولى التدريس فيها بنفسه؛ إذ لا يوجد من يُدرِّس غيره، فكان يُدرِّسهم الكتابة والقراءة، فلما تعلَّم عدد القراءة والكتابة فتح فصولاً أخرى، وجعلهم مدرسين عليها، واستمر الأمر على هذا إلى أن بُنيت أول مدرسة نظامية في القرية⁽⁴⁾.

10- وفي عام 1938 طرأ عليه تغييرٌ كبيرٌ حيثُ انتقل إلى (غسو) وهي أكبر من (ربا) حيثُ توفِّي في هذه السنة السلطان حسن وخلفه السلطان أبوبكر ابن عمه، والذي كان يشغل منصب (سردونا) لإمارة صُكُتو في أثناء حكم السلطان حسن.

ومنصب (سردونا) يعني: قائد حرس السلطان، أو حامل السيف الشجاع، وهو منصبٌ لا يكون إلا لأبناء السلاطين أو الأمراء، وحاملٌ هذا اللقب في العُرف يُعتبر قائد قوات الجيش أيام الحروب⁽⁵⁾. وقد عيَّنه السلطان مشرفاً على 14 مركزاً في سلطنة صُكُتو، وهي قُرى متاخمةً للمستعمرات الفرنسية⁽⁶⁾، بهذا اكتسب مهارات إدارية، وأعلنت الحرب العالمية الثانية بعد تعيينه بسنةٍ واحدةٍ فعيَّن ضابطاً للحرب في صُكُتو.

11- في عام 1948م سافر إلى لندن لدراسة نُظْم الحكم المحلي⁽⁷⁾.

(1) انظر : المصدر السابق، ص36 .

(2) انظر : المصدر السابق، ص36.

(3) انظر : المصدر السابق، ص39.

(4) انظر : المصدر السابق ص45-46.

(5) انظر : My Life ص49.

(6) انظر : المصدر السابق ص51.

(7) انظر : المصدر السابق ص63-64 .

12- وفي عام 1949م ذهب إلى العاصمة آنذاك (لاجوس) لأول مرة حين توفي وزير صكتو. وأصبح العضو الثاني الذي يمثل صكتو. وقابل كبار السياسيين البارزين مثل (الدكتور إنمندي أزيكوي)⁽¹⁾.

13- وحين أريد للدستور النيجيري أن يعدل اجتمع الشماليون في كدونا واختاروا مندوبين منهم للاشتراك في هذا العمل المهم، وكان أحدهما أحمدو بلو⁽²⁾، وكان دائماً ضمن أي انتخاب لممثلي الشمال في مجلس النواب الاتحادي أو أي مجلس نيجيري آخر.

14- تقلد وزارتي تطوير المجتمع والحكومة المحلية عام 1953م⁽³⁾.

15- وفي أول أكتوبر من عام 1954م أصبح رئيساً لوزراء الإقليم الشمالي وظل على هذا المنصب حتى لحظة اغتياله رحمه الله.

ثانياً : في وسط العمل السياسي مع وضوح الهدف:

وجد سرّ دوناً نفسه في العمل السياسي دون أن يفكر فيها، لكن الظروف دفعته إلى أن يمارس العمل السياسي إذ يراه عملاً ضرورياً في تلك المرحلة لإعادة شيء من أمجاد أمته الذي فقدته تحت برائن الحكم الاستعماري، فدخل الحقل السياسي بهدف واضح من البداية ورؤية سياسية استراتيجية.

نصّ الدستور النيجيري على تقسيم حكومة نيجيريا إلى حكومة إقليمية وأخرى مركزية، لكلّ منها مجلس الوزراء، والأقاليم الثلاثة هي: الإقليم الشرقي، والشمالي والغربي، ولكلّ حكومة إقليمية قاعدة ورئاسة، وهي جميعها مرتبطة بالحكومة المركزية في لاجوس العاصمة. وقد تألفت ثلاثة أحزاب سياسية رئيسية:

أولها: حزب المؤتمر القومي النيجيري، الذي تأسس عام 1945م، الدكتور إنمندي أزيكوي، الذي انحدر من قبائل إيبو، ونال تعليمه في أمريكا، وكان الحزب في بدايته حزباً قومياً قائماً على محاربة الاستعمار، وتفضيل السياسة الأمريكية على سياسة المستعمر، وعلى التسامح الديني والتنويه بأمجاد الأسلاف المسلمين في غرب إفريقيا عموماً وفي نيجيريا خصوصاً، هذا ما جعل للحزب شعبية عند كثير من شباب المسلمين في شمال نيجيريا فضلاً عن أبناء القبائل الأخرى في الشرق والغرب. وقد

(1) انظر : المصدر السابق ص 64، 65 .

(2) انظر : المصدر السابق ص 68.

(3) انظر : المصدر السابق ص 96 .

استطاع هذا الحزب أن يصل إلى كرسي الحكم في الإقليم الشرقي برئاسة هذا الزعيم القوم (د. أزيكوي)⁽¹⁾.

الثاني : حزب جماعة العمل (Congress Group) الذي تأسس عام 1951م بقيادة رجل من قبائل اليوربا يُسمى (أوبافيمي أولو) وهو مسيحي الديانة، وهو حزبٌ قام على المذهب الرأسمالي ، والمبادئ الماسونية، وتغلب عليه - حسب وصف الشيخ آدم الإلوري - النزعة القبلية والعصبية الدينية والفكرة النفعية، ويتكوّن أعضاؤه من قبائل اليوربا المسيحيين والمسلمين المغلوب على أمرهم بالنزعة القبلية والدعاية المغرضة. واستطاع أن يفوز بحكم الإقليم الغربي برئاسة هذا الرجل الماسوني⁽²⁾.

الثالث : حزب الشعب الشمالي الذي تأسس 1949م بقيادة أحمد بلو سردونا ، وتنحصر شعبيته في أبناء الشمال بالأغلبية المسلمة والأقلية المسيحية، وهو حزب قائم على المحافظة واحترام العادات والتقاليد وتوطيد الصلة بالأمراء التقليديين، والانحياز إلى الشرق العربي والإسلامي. وقد فاز هذا الحزب بحكم الإقليم الشمالي برئاسة أحمد بلو الحفيد الرابع للشيخ عثمان بن فودي⁽³⁾.

وكان له همّة عالية بإعادة مجد آبائه وأجداده في الإسلام ، وكان له رغبة ملحة في إقامة الجامعة الإسلامية شبه الدول الكومنولث البريطاني، وقد طاف العالم العربي حاملاً الدعوة إلى تحقيق ذلك⁽⁴⁾.

ثالثاً : توطيد العلاقة مع الشرق العربي والبلاد الإسلامية:

ظلّ أحمد بلو رحمه الله يُنادي منذ الساعة الأولى بالانفصال عن الموكب الغربي إلى موكب الشرق العربي، غير أن بعض أنصاره عارضوه بأن ذلك توريطٌ للإقليم في أزمنة اقتصادية متضاعفة؛ لانعزاله عن شواطئ المحيط التي يُشرف عليها الجنوب الشرقي والغربي.

لكن أحمد بلو ظلّ محتفظاً بهذه الفكرة ، وظلّ يكرّس جهوده على تقوية إقليمه ثقافياً واقتصادياً، وعلى تهيئة نهر النيجر للملاحة ، وإنشاء الميناء والمحطة الكبرى للكهرباء الصناعية على ضفته تفادياً لما قد يحدث من

(1) انظر : الإلوري، آدم عبد الله : الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، الطبعة الثانية، 1398هـ/1978م (بدون مكان الطبعة)، (ص157-158).

(2) انظر : الإلوري: المصدر السابق، ص158.

(3) انظر : الإلوري: المصدر السابق، ص158.

(4) الإلوري، آدم عبد الله : الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، ص81.

التطورات في المستقبل، لذلك كلّه ظلّ يلتزم حدود إقليمه ويكتفي بما يكتسبه من الأصوات الانتخابية فيه، ولا يطلب شيئاً من إقليم آخر⁽¹⁾.

انتقلت همّته في العمل الإسلامي إلى سائر أرجاء العالم الإسلامي، وكان يحزنه جداً ما يراه من الاختلاف القائم بين بعض البلاد الإسلامية في الشرق العربي مما أحدث شرخاً كبيراً بين الأمة الإسلامية، فرأى أن يقوم بعمل ما لعله يُعيد إليها شيئاً من الوئام والمحبة عن طريق العمل المشترك بينها، فقام بجولة إلى بعض البلاد العربية والإسلامية ليتحدّث إلى زعمائها وقادتها حول فكرته، وكان معه الشيخ أبوبكر محمود جومي، فزار بلاداً مثل النيجر وغينيا، والسّنغال - مع أن رئيسها آنذاك ليس مسلماً إلا أن أغلبية الشعب مسلمة - وغمبيا والمغرب والجزائر وليبيا وتونس واليمن والعراق والكويت والسعودية، وتحدّث مع قادة هذه البلاد جميعاً. ونتج من هذه الزيارة فكرة مؤتمر يُعقد في الحجّ لتلك السنة 1961م.

وقد عقد المؤتمر في القصر الملكي بجدة في 29 مايو 1961م.

وترأس الجلسة فيصل بن عبد العزيز وزير خارجية السعودية آنذاك. ورغم أنه هو المؤتمر الأول من نوعه، ولم يحظ بتحضير جيد، إلا أنهم استطاعوا أن يخرجوا ببعض قرارات مهمة منها :

- التعاون السياسي بين هذه البلاد.
- نشر الإسلام على هدي الكتاب والسنة.
- مساعدة الشعوب المسلمة التي تناضل ضدّ المستعمرين في الجزائر وفلسطين.
- تأسيس الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

وكان (سردونا) أول المتحدثين في هذا الاجتماع؛ فتكلّم كلاماً طويلاً تطرّق فيه إلى ضرورة تسوية النزاعات السياسية بين تلك البلاد، والتعاون في سبيل نشر الإسلام والعمل على النهوض ببلدانهم اقتصادياً.

وبعد هذه الجلسة عُقدت أخرى برئاسة الملك سعود بن عبد العزيز، وكان (سردونا) فيها أيضاً أول المتحدثين بعد الكلمة الافتتاحية من فخامة الملك، وكرّر في حديثه أهمّ الأفكار التي طرحها في حديثه السابق. ثمّ في النهاية قدّم دعوة خاصة للملك بزيارة نيجيريا.

وهذا النجاح الذي حقّقه هو الذي مهّد السبيل لأحمد بلو سردونا في دعوته إلى وحدة العالم الإسلامي، فكلّما جاءت مناسبة كان (سردونا) يقوم

(1) انظر : الإلوري : الإسلام في نيجيريا، ص 160.

بزيارة قادة العالم الإسلامي ويقدم لهم بعض النصائح التي يمكن أن تؤدي إلى توحيد العالم الإسلامي وتحقيق الأمن في ربوع العالم أجمع⁽¹⁾.

وقد استمر بالحج في كل عام منذ حجّه الأولى 1955م، وتوطدت علاقته بالمملكة العربية السعودية، وبعثات الحج من بلاد إسلامية مختلفة⁽²⁾.

وقد قويت علاقته بالأسرة المالكة في السعودية، وكان يحمل إليهم هدايا، كما زار هناك وهي عبارة عن جلود النمر وريش النعامة⁽³⁾.

وكان علاقته بالملك فيصل علاقةً قويّة من قبل أن يصبح ملكاً إلى أن صار ملك المملكة العربية، وكانت صداقتهما حميمة جداً، وقد لبي فيصل له طلبات كثيرة بمجرد أن يحدثه فيها⁽⁴⁾.

ولقد كان يضمّر لشعب المملكة حباً منقطع النظير، لا سيّما أهل مكة والمدينة، حتى كان يبعث إلى فقرائهم في كل عام بالصدقات ويواسيهم كلما زارهم بالهدايا والإعانات⁽⁵⁾.

رابعاً : جهوده في دعم التعليم الإسلامي:

كان الهدف عند (سردونا) أن تحظى المدارس القرآنية باهتمام خاص وأن يتم تنظيمها حتى تؤدي دورها في نيجيريا الحديثة، لذلك قرّر أن يقدم إليها دعماً يوزاي ما تقدّمه حكومة الاستعمار إلى المدارس التنصيرية وما تجده المدارس الخاصة، لذلك رأى أن يعمل بمساعدة العلماء لإيجاد حلّ مناسب لهذه المسألة.

وقد قدّم (سردونا) هذه الخطة في أثناء دعايته الانتخابية، وأعلن على الملأ بأنه سوف يقوم بدعم المدارس القرآنية في حال فوزه بانتخابات عام 1959م.

علاوة على ذلك فإنه كان يرى أن يسمو التعليم العربي والإسلامي في المدارس الحكومية، وكان يرى أنّ هذا عملٌ إداريٌ بحثٌ من خلال العمل في مؤسسات الوزارة، وقد أصدر (سردونا) أوامره لوزارة التعليم أن تقوم بإنشاء لجنة تنظيم الدراسات الإسلامية وكان على رأسها الشيخ خضر

(1) انظر جومي أبو بكر محمود: Manufata (سيرة ذاتية)، جمعها ونسقها د. إسماعيل أبو بكر سيغا (2002) ص 122-123.

(2) انظر : Paden, John N. Ibid, p. 281

(3) انظر : Paden, John N. Ibid, p. 282

(4) انظر : المصدر السابق، ص 281.

(5) انظر : المصدر السابق، ص 281.

بُنْجِي، وبعد أن أصبح نائب رئيس القضاة بعد الاستقلال جاء محلّه الشيخ حسين آدم⁽¹⁾.

قامت الحركاتُ السّياسيّة بدورٍ مهمّ في إدخال إصلاحاتٍ كثيرةٍ في ميدان التّعليم عامّة وفي ميدان التّعليم العربيّ والدّيني خاصّة، وقد بدأت نتائج ذلك عندما تمّ الاستقلال؛ فقد ظهرت مدارس كثيرة وأقبل الناس يستزيدون منها، وظهر اعتناء الحكومة بتدريب مدرّسي اللّغة العربيّة والدّين، ووُجدت طائفةٌ من مدرّسي هاتين المادّتين قد أكملوا دراساتهم العُليا وتخصّصوا في هذين الفنّين وانخرطوا في سلك التّدريس. وبدأ البعض منهم يشترك في سياسة التّعليم في الوزارة، وبدأ مدرّسو العربيّة يتمتّعون بقسطٍ من المساواة بينهم وبين إخوانهم الذين يدرّسون الموادّ الأخرى في الرواتب وفرص التّرقية وغير ذلك. وأقبلت الحكومة على إرسال البعثات التّعليميّة إلى البلاد العربيّة وغيرها للتخصّص في العلوم العربيّة⁽²⁾.

خامساً : جهوده في خدمة الإسلام:

دخل عليه يوماً الشيخ أبو بكر محمود جومي رحمه الله ، فبدأ (سَرْدُونًا) يحدّثه عن الأموال الطائلة التي أنفقها في دعايته السّياسيّة ، واشتكى إليه أنّه أنفق أموالاً طائلةً في سبيل النهوض بحزبه السّياسيّ؛ حزب شعب الشمال (Northern Peoples' Congress) (NPC) كما أنّ الحزب أيضًا ينفق مثل هذه الأموال إلى أن وصل إلى حدّ الإفلاس لكنه لا يرى أنّ أعضاء الحزب يعملون بإخلاص.

لم يكن (سَرْدُونًا) يتحدّث مع الشيخ في الأمور السّياسيّة، ولم يكن الشيخ يتدخّل في هذه الأمور بل لا تعنيه من قريبٍ أو بعيدٍ، لكن لما فاتحه (سَرْدُونًا) الآن في هذا الموضوع أدرك الشيخ أنّ الأمر لم يكن يتعلّق بالأموال التي يُنفقها أو ينفقها الحزب، وإنما يقصد اختلاف الهدف الحاصل بينه وبين باقي أعضاء حزبه، فعندها قال له الشيخ:

«بدلاً من إنفاق هذه الأموال على الحزب السّياسيّ بدون طائل، فلماذا لا تقوم بإنفاقها في عملٍ يرضى عنك الناس ويرضى عنك خالقك؟».

فسأله (سَرْدُونًا) : ماذا تعني بذلك؟

(1) انظر : Paden. Ibid, pp.299, 300

(2) غلادنشي، شيخو أحمد سعيد : حركة اللغة العربيّة وآدابها في نيجيريا، 1414هـ/1993م، (بدون مكان الطبعة)، ص89.

فأجابه الشيخ قائلاً : «بدلاً من أن تحشر هذه الأموال في أمور السياسة، فلو أنك أنفقت عُشرها لنشر الدين لأكسبك ذلك أتباعاً ، وفي الوقت نفسه قدّمت خدمة مباشرةً لدين ربك».

فسكت حينه فلم يقل شيئاً ، لكن أدرك الشيخ أنّ هذه الكلمات قد وجدت سبيلها إلى قلب الرّجل ، وصارت مفتاحاً له للدّخول في ميدان خدمة الدين ونشر الإسلام ؛ فبدأ يُقدّم للعلماء والدّعاة دعماً مادّيّاً كلما خرج لجولةٍ سياسيّة، ثمّ توجّه إلى بناء المساجد في الأرياف ليتسنى للنّاس أن يصلّوا فيها صلواتهم الخمس جماعةً، وكان النّاس يشكرونه عليها ويدعون له، ويزيده ذلك عزيمةً وقوّةً واستمراراً. ثمّ زادت عزمته حتّى بدأ يخرج لا لجولةٍ سياسيّةٍ أو دعائيّةٍ كما اعتاد أن يفعل سابقاً، وإنما لجولةٍ دعويّةٍ كلّما وجد فرصةً لذلك⁽¹⁾.

كان يقوم بكفالة الدّعاة لتعليم النّاس الدين، ويدفع إليهم المكافآت من راتبه الخاصّ⁽²⁾.

ويمكن أن نشير إلى معالم بازرّة تظهر فيها خدمته للإسلام ، وهي :

أ- تأسيس جماعة نصر الإسلام:

لاحظ الشيخ أبو بكر جومي رحمه الله أنّ عدد الدّعاة الموجودين لديهم غير كافٍ للقيام بالدّعوة والتّعليم، وأنّه لا بدّ من إنشاء منظرمة تقوم بهذه المهمّة على وجه الكمال، فاقترح على رئيس الوزراء بضرورة تأسيس هذه المنظرمة فقبّل منه هذا الاقتراح، وعقد أوّل اجتماع لهذا الشّأن في منزل أبي بكر إمام وحضره (سرّدونّا) مع مجموعة من العلماء ومسؤولي الحكومة ، فكان تأسيس هذه المنظرمة باسم (جماعة نصر الإسلام) ، وكان أبو بكر إمام هو أوّل أمينٍ عامٍ لها، وعيّنوا لها موظّفاً يقوم بتسيير أعمالها، وهو (مالم لبيك بلو) رجلٌ من إلورن، وتبرّع الشيخ جومي بمنزله ليكون مكتباً خاصّاً للمنظرمة⁽³⁾.

ب- دعوة غير المسلمين إلى الإسلام:

كانت سنة 1955م أوّل سنة يحجّ فيها أحمد بلو سرّدونّا ، وتأثر كثيراً بمشاهد الحجّ والحجيج وازداد توجّهه الدّينيّ ، وشعر بضرورة دعوة غير المسلمين في نيجيريا إلى الإسلام لا سيّما الوثنيّون منهم⁽⁴⁾.

(1) انظر جومي: المصدر السابق، ص124.

(2) انظر جومي: المصدر السابق، ص124.

(3) انظر جومي: المصدر السابق، ص125-126.

(4) انظر : John N. Paden: Ahmadu Bello Sardauna of Sokoto, pp. 281, 281.

ويصف - هو بنفسه - ثمرات تلك الجهود التي كان يقوم بها في نشر الإسلام بين أوساط الوثنيين في نيجيريا فيقول :
«وفي نيجيريا أعمل وبعض الإخوة المسلمين بنشاطٍ وجدّ في حقل الدّعوة والهداية بين هؤلاء الوثنيين ، وصادفنا - والحمد لله - نجاحًا كبيراً، أقبل الكثيرون منهم على الإسلام، يدخلون في دين الله أفواجا كلَّ يوم وفي كلِّ جزءٍ من أجزاء بلادنا، ونحن نشكر الله كثيراً، فبعونه وتوفيقه، ورغم المشاغل الأخرى التي أرادها لنا سبحانه فقد آتت مجهوداتنا ثمارها واعتنق الإسلام من هؤلاء الوثنيين 176930 في الفترة من ديسمبر 1963 إلى مارس 1965م.

وليس هذا كلُّ شيء؛ فقد اعتنق الإسلام أيضاً بعض المسيحيين، ومن بينهم شخصيات لها أهميتها في المجتمع»⁽¹⁾.

وكان الشَّيخ عطية محمَّد سالم رحمه الله شاهدَ عيانٍ لتلك الجهود يومَ أن كان عضواً في بعثة للجامعة الإسلاميَّة إلى غرب نيجيريا، يتقدّمهم العلامة الشَّهير والمفسِّر النُّحريِّ الشَّيخ محمَّد الأمين الشَّنقيطيِّ رحمه الله، فزاروا نيجيريا. فقد سجَّل الشَّيخ عطيةً شهادته حول ما رأي من تلك الجهود التي سبق الحديثُ عنها، فقال رحمه الله : «وقد شهدنا مهرجاناً شعبياً طارت له القلوب فرحاً، واهتزَّت له المشاعر إعجاباً، وكدنا نكدَّب أنفسنا فيما نرى حين تقدّم ممثلو سبعة آلاف شخص قد دخلوا في الإسلام من جديد، وكدنا نخال أنفسنا في القرون الأولى حينما سمعنا تلك الحناجر»⁽²⁾.

ويقول الشَّيخ أبو بكر جُومي :

«أعتقد أنَّه في المرحلة الأخيرة من حياته أصبح لا يهتم بشيءٍ من هذه الحياة الدُّنيا وإنما توجَّهت همته للأخرة ، وهذا قد أعطاه دفعا قويا ونشاطا زائدا عند خروجه للدَّعوة إلى الله.

وفي يوم من الأيام في إحدى جَولاته الدعويَّة في قرية (قَارِي) في كَنو ، تحدَّث طويلاً أمام مجموعةٍ من الوثنيين فلم يُنه حديثه حتَّى أسلم أكثر من ألف شخص.

كان (سَرْدُونَا) يُنفق كلَّ ما في يديه للدَّعوة إلى الله مع حبِّه الجَمِّ للمتديِّنين ، وهذا هو السرُّ في تقديره الجَمِّ لأمير (مَنِي) الرَّاحل الحاج أحمد بهُغو رحمه الله لِمَا يرى من خدمة الأخير في نشر دين الله»⁽³⁾.

(1) الشهيد أحمدو بلُو سَرْدُونَا - كتيب فيه مجموعة مقالات عنه أصدرته رابطة العالم الإسلامي عقيب اغتيالهِ رحمه الله، ص20.

(2) المصدر السابق، ص102-103.

(3) جومي: Manufata، ص132.

ج- مشاركته في تأسيس منظمة رابطة العالم الإسلامي:

كانت لقاءات أحمدو بلو سرَدُونًا بزعماء وقادة العالم العربي والإسلامي قد أسفرت عن تأسيس رابطة العالم الإسلامي ؛ فقد تجمَّعوا في مكة في موسم عام 1962م حيث تأسست هذه الرابطة، والتي كان (سرَدُونًا) أصل فكرتها، وقد اختير نائبًا لرئيسها، ثم عضوًا في المجلس التنفيذي، وعيّن الشيخ أبابكر جومي أن ينوب عنه فيه⁽¹⁾.

وقد قبل أحمد بلو سرَدُونًا هذا الشرف شاكرًا، وتعهد بالتجاوب والتعاون مع الرابطة على نشر الإسلام.

وإن لم يكن قد أسهم بالإنفاق على مسيرة أعمال الرابطة فقد تعاهد ببذل نفسه حسبما جاء في رسالته :

إلى سيادة الأخ الأمين العام ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لقد كان للدعوة السامية التي أكرمني بهذا حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم للإسهام في هذا المؤتمر الإسلامي التاريخي أعمق الأثر في نفسي ، وإنه لشرف عظيم أن يراني جلالته أهلاً لهذا الأمر الجليل أو هو بالأحرى لبلادي كلها .

ولست أملك إلا أن أوكد لكم تأييدي الكامل الذي لا حد له وعهدي على التعاون الوثيق في سبيل نشر رسالة الإسلام العظيم.

ولن أكون في ذلك إلا مؤدياً أمانة الله في عنق كل مسلم وماضياً على أثر آبائي وأجدادي أعتز بأن تاريخهم في بلادي اقترن دائماً بتاريخ الدعوة الإسلامية ...

صدرت الرسالة بتاريخ 12 ذي الحجة 1371هـ (16 مايو 1962م)⁽²⁾. وكان رحمه الله قد أدى قبل اغتياله بأشهر قليلة عام 1965م خطاباً تاريخياً في مؤتمر الرابطة، تضمن جوانب عديدة ومهمة يظهر فيه حماسه لهذا الدين، ولقضايا هذه الأمة وما يحمله بين جوانحه من هم نشر الإسلام والعمل على إبلاغه لكافة البشرية. تحدت فيه عن نيجيريا، وعن المسلمين بها، وعن مشكلاتهم، وما يهفو إليه من رفع مستواهم علمياً وثقافياً، وما تواجهه أمته من خطر التنصير وما يجده التنصير من دعمٍ خارجيٍّ، وما يقوم به هو وإخوانه من مواجهة التحديات ونشر الإسلام بين الوثنيين، على الرغم مما يواجهون من مشكلات وعوائق. وأشار في خطابه أيضاً إلى أن الإسلام في ذاته دائماً وأبداً قوي، وإنما الضعف فينا نحن المسلمين، ويأتي

(1) انظر جومي: المصدر السابق، ص123.

(2) الإلوري: الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، ص82-83.

الضعف أحيانا من عدم التعاون بيننا على البر والتقوى كما ربّانا الإسلام، ومن عدم التنظيم لأعمالنا، وطرح بعض المقترحات أمام الرابطة؛ من ذلك مشروع جمع تبرّعات وإقامة صندوق خاص يكون الغرض منه الانفاق على تعليم المسلمين ونشر الإسلام الحنيف وحمل رسالته الكريمة إلى قلوب لم تعرف نوره بعد - على حدّ تعبيره. واقترح أن يسمّى المشروع (شعلة الإسلام)⁽¹⁾.

سادساً : صلته برائد الدعوة السلفية في نيجيريا : الشيخ أبو بكر محمود جومي (ت1412هـ):

التقى الشيخ أبو بكر محمود جومي بأحمد بلو سردونا عندما كان الشيخ يعمل أميناً في مكتب رئيس القضاة في صُكُتو ، وكان أحمد بلو سردونا آنذاك مديراً تنفيذياً في الحكومة المحليّة التابعة للإقليم الشمالي ، وكان أبو بكر جومي بحكم عمله في المحكمة كثيراً ما يراجع مكتب أحمد بلو ، وهناك بدأت العلاقة بينهما تتكوّن.

ثم كان أحمد بلو سردونا هو المبعوث من قبل مجلس السلطان إلى الشيخ أبي بكر جومي ليبلغه موقف المجلس تجاهه حول رسالة وجهها الشيخ إلى السلطان ينتقد فيها كلمات صدرت منه في خطابه أمام ملك إنجلترا وقت زيارته إلى نيجيريا ، فقد جاء في خطاب السلطان قوله : (أبدأ بشكر الله تعالى ثم بشكر نبيه صلى الله عليه وسلم ، والشيخ عثمان بن فودي الذي جدّد لنا الدين في هذه البلاد، وأشكر كذلك ملك إنجلترا الذي ننعم في ظلّ عدله وتحت رايته...).

فلما نُشر هذا الخطاب في جريدة تصدر بلغة الهوسا باسم Gaskiya Tafi Kobo واطّلع عليه الشيخ جومي أساءه جدّاً، فكتب تلك الرسالة موجّهاً بها إلى السلطان ينتقد خطابه ذلك؛ وكيف قرّن اسم المستعمر المسيحي مع أسماء أولئك في الذكر ، ثم كيف يمدح العيش تحت عبودية الاستعمار.

جاء أحمد بلو سردونا مبعوثاً من قبل مجلس السلطان بعد أن اتخذ المجلس قراراً بتأديب الشيخ على رسالته تلك. إلا أنّ سردونا طمأن الشيخ وبين له تأييد كثير من أعضاء المجلس لرسالته، لكنّ المجلس اتخذ معه هذا الموقف ورأى معاقبته حتّى لا يسمع الناس بالخبر وينحازوا إلى جانب الشيخ، وتذهب هيبة السلطان، وصرّح له سردونا بتأييده له في ذلك، وأهدى إليه ثوباً وسروالاً وعمامة مع بعض المبالغ الماليّة⁽²⁾.

(1) انظر : الشهيد أحمدو بلو، ص15-26.

(2) انظر : جومي، في سيرته الذاتية : Manufata ص45-56 .

وفي عام 1955م كان أحمد سَرَدُونَا في لندن لحضور مؤتمر عُقد هناك، ثم بعد المؤتمر مرّ بالمملكة العربية السعودية لمهمّةٍ أخرى، وهي ترتيب شؤون حجاج نيجيريا، وكان معه عددٌ من كبار شخصيات نيجيريا آنذاك، وهي أول سنة يؤدي (سَرَدُونَا) حجّته الأولى في حياته، وصادف أيضاً أنها كانت هي السنّة التي أُتيح للشيخ أبي بكر محمود جومي مع مجموعة من زملائه من السودان أداءً فريضة حجّته الأولى، فالتقوا هناك، وعيّن سَرَدُونَا الشيخ أبا بكر جومي إماماً لهم، وقد فرح الشيخ أبو بكر جومي بهذه الريادة لهؤلاء المجموعة كما يذكر عن نفسه⁽¹⁾.

وفي عام 1957م عيّن أحمد بلُو الشيخ أبا بكر جومي مسؤولاً عن شؤون الحجاج، وهمّ قبل ذلك أن يجعله سفيراً له فيها إلا أنّ الشيخ رفض قبول المنصب⁽²⁾.

كان الشيخ أبو بكر محمود جومي يرى أنّ (سَرَدُونَا) إنسانٌ يبحث دائماً عن الحقّ والصواب مما جعل الشيخ يصارحه بالحقيقة، ويبادلّه رأيه دون خوفٍ أو وجلٍ، فقد يقبل منه، وربما يختلفان في الموقف، بل قد يُغضبه الشيخ أحياناً بصراحته المتناهية، فيقول الشيخ :

«فإذا رأيت الغضبَ منه في مثل هذه الحالة أتركه، لكنّه في الغالب يبحث عني مجدّداً، فقد يعتذر إليّ، أو يتناسى الموضوع، ويفتح موضوعاً آخر للنقاش ثم لا يعود إلى الأول نهائياً»⁽³⁾.

وقد أصبح الشيخ أبو بكر جومي بهذا مستشاراً خاصاً للرئيس الوزراء بالإضافة إلى عمله رئيساً للقضاة، وهذا ما قوّى العلاقة بينهما، وأدرك الشيخ جومي هذا الشخصيّة الكبيرة عن كُتُب، وصار ممن يحقّ له أن يُدلي بشهادته حولها، فيقول :

«كنتُ دائماً معجباً بالطريقة التي يسير بها شؤونهُ اليوميّة، كان إنساناً سهلاً مع علوّ مكانته الاجتماعيّة، كان ناصحاً لكلّ من استنصحه، وكان مهذباً للناس كلّما شعر أنّ خوفاً ما ينتابهم. كان الجميعُ يعرفه إنساناً كثيرَ المزاح، ويضحك عندما يسمع طرفةً تُثير الضحك، لكن إذا جاء الجدّ تراه إنساناً جاداً بمعنى الكلمة، بحيث يُقلّل حتى من الكلام، وكان شديد الغضب على كلّ من رآه قد تنكب الحقّ، لكنّه سرعان ما يهدأ ويسكت عنه الغضبُ

(1) انظر : سَرَدُونَا: سريته الذاتية: My Life، ص173، و جومي: سيرته الذاتية: Manufata، ص76-76.

(2) انظر : جومي: المصدر السابق، ص116.

(3) انظر : جومي: المصدر السابق، ص118.

إذا ما أدرك أنه أساء الفهم. كان غضبه لا يتجاوز دقائق معدودة. وهو إنسانٌ بعيد النظر يفكر في الأمر قبل أن يُقدم عليه»⁽¹⁾.

ويكشف الشيخ جومي كيف كان أحمد بلو فخوراً بأُمَّته وتاريخه، وعاملاً من أجل نهضتها ورُقِّيَّها، فيقول رحمه الله :

«من الصَّعب جدًّا بيانُ مدى حبِّ (سَرَدُونَا) للإقليم الشَّمالي ورغبته في قيادة أُمَّته إلى الرُّقي، لا سيما بالمقارنة إلى باقي أقاليم البلاد، كان دائماً فخوراً بتاريخ أُمَّته في هذه البلاد، وأنَّ في تاريخ أُمَّته علماء أَلَّفوا كتباً مهمَّةً في مجالاتٍ مختلفة من العلوم في وقتٍ كان الناسُ في بعض بلاد العالم يعيشون جاهليَّةً لا يعرفون شيئاً. ومن دواعي الفخر عنده أنَّ الكشافة الغربيين لم يكونوا هم الذين اكتشفوا وجود أُمَّته، كما يفخر بأنَّ أجداده هم الذين أسَّسوا هذه البلاد من سنين طويلة. فغَيْرُته ورغبته في نهضة بلاده وأُمَّته ليست لأغراضٍ سياسيَّة، بل كان يشعر بأنَّ النهوض بأُمَّته في الشَّمال مسؤوليَّةٌ على كاهله، فهو حينما يُبدي رغبته في العمل المضنيِّ للنهوض بمستوى بلده وإقليمه لكي يعيشوا عيشةً جديدةً؛ فإنَّه إنما يُعبِّر عن شيءٍ كامنٍ في قرارة نفسه، وهذا الذي جعله يعمل بجدٍّ، دون توقُّف، الأمرُ الذي بزَّ به سائر الناس، ومن أجل ذلك لا ينام في اللَّيل إلا ما لا يجاوز أربع ساعات أو أقلَّ»⁽²⁾

سابعاً : بوادر التوتُّر بين سياسة الشَّمال والجنوب:

لقد صورَّ الكاتبُ النيجيريُّ الشَّيخ آدم عبد الله الإلوري رحمه الله ما وقع آنذاك بين الشَّمال والجنوب من توتُّرٍ سياسيٍّ عميقٍ ؛ كان سببُه النَّعرة القبليَّة والدينيَّة ، واختلاف الاتِّجاهين في السياسة الداخليَّة والخارجيَّة، فقال رحمه الله :

«لكنَّ السَّاسة الجنوبيين لم يتركوا الشَّمال لأهله، كما تركوا لهم الجنوب، ومع ذلك ظلَّ أحمد بلو هادئاً ضابط النفس لم يحرك ساكناً ، ولم يغيِّر سياسته. وفي هذه الأثناء ، كان التوتُّر شديداً بين الشَّرق والغرب ، يعني : الزَّعيم إزيكوي والزَّعيم أولوو⁽³⁾، وقد طارد الأخير الأوَّل مرَّة من ميدان الانتخاب في الإقليم الغربي ، ليتوجَّه تَوًّا إلى إقليمه في الشَّرق، وألحق به أضراراً بالغةً في مختلف المناسبات مما حمل أتباع إزيكوي على إضمار الانتقام لزعيمهم كلِّما انتهزوا الفرصة لذلك.

(1) جومي: المصدر السابق، ص116-117.

(2) جومي: المصدر السابق، ص120.

(3) وكلاهما مسيحيان.

ولم يكن يخطر ببال أيّ إنسان أنّ التّوتّر بين الشّرق والشّمال سيبلغ منتهاه في يومٍ من الأيام؛ لما كان بين الطّرفين من النّقة المتبادلة التي مكّنت قبائل إيّو في الشّمال ، وضمت عددًا من أبناء الشّمال في صفوف الحزب السّياسيّ الشّرقيّ تحت زعامة إزيكوي.

وإنما كان التّوتّر شديدًا بين الغرب والشّمال لما كان عليه الزّعيم الغربي من التّعصّب القبليّ والدينيّ معاً، وإيقاظ النّعمة النّائم بين اليرباويين والفلانين وقد حمله هذا التّعصّب على بُغض العرب والمسلمين جميعاً ، وكان أوّل من استدعى اليهود إلى إقليمه وأشركهم في مؤسّساته، ليوزان بذلك كفة أحمد بلو الذي كان يستميل العرب ويواليهم، ويحضر مؤتمرهم كلّ سنة في مكّة. وعبثاً بذل هذا الزّعيم اليرباويّ أقصى جهده للوصول إلى رئاسة الحكومة المركزيّة ، ولما خاب سعيه ، ويئس من رصيد التّصويت والاقتراع، صار يبيّث السّوء ويحيك المؤامرة لقلب الحكومة المركزيّة على الحاج أبي بكر تفاقوا بليوا، وأظهر الله الشرّ الذي كان يكتمه ، وقبض على وحوكم وأدين بالجريمة، وقُضي عليه بالسّجن عشر سنين. ومن هنا انقسم حزبه (جماعة العمل) على قسمين : قسم يتحمّس لهذا الرّئيس المعتقل في السّجن، وقسم يتحمّس لنائبه صمويل أكنتولا ، الذي انحاز مع القسم الأكبر من قبائل يوربا إلى موالاة الإقليم الشّمالي، فاعتبره القبليّون خائناً لقبيلته ؛ لأنّه خضع لقبائل هوسا، كما اعتبره الصّيليبيّون خائناً لدينه؛ لأنّه خضع للمسلمين ، فصاروا يبيّتون له السّوء، فغيّر الشّرقيون سياستهم فجأة، وجعلوا يتظاهرون بالتّعاطف مع قضية الزّعيم اليرباويّ المعتقل، لكسب موالاة أتباعه من اليرباويين ، حتّى يستطيعوا أن يُشكّلوا جبهة واحدة لتنفيذ قلب الحكومة حسب إرادة الزّعيم اليرباويّ المعتقل، مع أنّ الدّكتور إزيكوي لا يزال رئيساً للجمهورية، ولا يزال عددٌ من قبائله يشغلون من مناصب الوزارات ما يقارب النّصف، وفي هذه الأثناء جاء دور الانتخاب الإقليمي، واكتسح الحزب الموالي للشّعب الشّمالي تحت رئاسة أكنتولا أغلب الكراسي فعاد إلى رئاسة الحكومة ، فأوعز قبائل إيّو إلى أنصارهم في الأقاليم أن يعلنوا اعتراضهم على نتيجة الانتخابات بأعمال العُنف، وإثارة القلق والاضطراب كنسّف المباني والسيارات الخاصّة، والتّمثيل بمؤيدي خصومهم على مرأى القوى البولييسيّة التي تشكّل الأغلبية من قبائل إيّو، توهيناً لقوّة الحكومة وتمهيداً لتنفيذ الانقلاب، وتوسّلاً لكسب تأييد الشّعب،

وتبريراً لإقامة الحكم العسكريّ بعد إسقاط الحكومة الإسلاميّة كما يسمونها⁽¹⁾.

ثامناً : الجريمة النكراء

كان أحمد بلو سردونا يستعدّ للذهاب إلى العمرة فيما بين 3-11 من شهر يناير 1966م ، لكنّه بدأ بزيارة مسقط رأسه (رابا) في صُكُتو لتوديعهم وذلك في شهر ديسمبر من عام 1965م، وقد حذرت الاستخبارات من هذه الرحلة ، وطالبوه بإلغائها وإلغاء رحلته إلى (ورنو)؛ لما لديهم من معلومات استخباريّة بأنّ هناك تهديداً باغتياله واغتيال عديد من وزرائه، لكنّه أصرّ على الرحلة⁽²⁾.

هناك معلومات استخباريّة بأنّ هناك تخطيطاً في خفاء لاغتيال (سردونا)، لكنهم لا يعلمون من أين؟ وممن؟ ولما زار ضريح جدّه السلطان أبي بكر عتيق ، قال لمن معه : «ادفوني هنا...» مشيراً إلى بقعة بجوار قبر السلطان⁽³⁾.

ثمّ قبل أن يسافر إلى المملكة وصلته رسالة مكتوبةً بإنجليزيّة ركيكة تُستعمل عادةً من قبيلة إيبو، ممّا أعطى المطلعين عليها انطباعاً بأنّ كاتبها من قبيلة (إيبو)، وكانت الرسالة تحمل تهديداً بقتله وقتل رئيس الوزراء النيجيري الحاج أبي بكر تفاقوا بليوا... لكن بعض المرافقين لسردونا قلل من مصداقيّة الرسالة، إلا أنّ (سردونا) قال : «لا، ربّما يكون هناك أحدٌ يريد أن يبقى أحياء...» فسلم الرسالة إلى رجال الأمن ولكنهم لم يفعلوا شيئاً تجاه هذا التهديد⁽⁴⁾.

كان هناك رجلٌ يدّعي معرفة الأشياء الخفيّة عن طريق الاستخارة قد أخبر (سردونا) يوماً من الأيام أنّه لن يعيش أكثر مما عاش جدّه الشيخ السلطان محمد بلو. و الشيخ محمد بلو عاش 58 سنة، وهذه التكهن من هذا الرجل أثر في قلب (سردونا)، واعتقد أنّه حق.

(1) الإلوري، الإسلام في نيجيريا، ص160-162.

(2) Paden, ibid, p. 653.

(3) Paden, ibid, 654.

(4) انظر : Paden, ibid 654، وجومي: ص132.

في رحلته إلى العمرة :

رافق (سَرْدُونًا) في رحلته إلى العمرة حوالي تسعة عشر رجلاً منهم الأمراء والوزراء⁽¹⁾، ومن بينهم الشيخ أبو بكر محمود جومي رحمه الله، فلنُتْرِكُه يحدثنا عن تفاصيل الرحلة بنفسه:

«سافر إلى مكة وأدى العمرة هو ومن معه، ثم قفلوا إلى المدينة، وكان من عادته أنه إذا زار قبر النبي ﷺ أن تُفْتَحَ له الحجرة الشريفة فيدخلها، وكانت مغلقة باستمرار لا تُفْتَحُ إلا لقليل من الوجهاء، - من بينهم أحمد بلو سَرْدُونًا - فلما طلب الدخول فيها أخبر أنّ صاحب المفتاح غائب في سفر إلى مكة، وكان (سَرْدُونًا) لا يريد أن يُقيم بالمدينة أكثر من يومٍ واحد فأرسل إلى الرجل (صاحب المفتاح) ليعود من يومه حتى يفتح الباب لـ(سَرْدُونًا) ، فجاء رجلٌ في منتصف الليل حوالي الساعة الثانية ليلاً إلى (سَرْدُونًا) وهو في سكنه في ضيافة الملك فيصل بالمدينة فأبلغه عودة الرجل ، ، واعتذر سَرْدُونًا في البداية بأنّ الليل قد انتصف ولا يريد الخروج في ذلك الوقت، ثم عاد وطلب من رُفْقته الخروج إلى الزيارة معتقداً أنّ هذه الزيارة هي زيارته الأخيرة، لأنّه يعرف أنّه ميّت بعدها، فذهبوا للزيارة ثم صلّوا صلاة الفجر في المسجد النبوي، وفي الصباح عادوا أدرجهم إلى مكة ومن ثم إلى مطار كنو»⁽²⁾.

لقد كان قائد اللّواء الأوّل لكنايب الشّمال النّيجيريّ صَمويل إديمولغون على علمٍ ومعرفة تامّة بخطة الانقلابيين ، وحاول مع (سَرْدُونًا) بأن يتحرّك ضدّهم ويطلب من رئيس الوزراء النّيجيري أن يُصدر أمراً بالقبض عليهم لكن دون جدوى، لم يفعل (سَرْدُونًا) شيئاً، وحاول اللّواء مع طبيبه الخاصّ حتّى يكلمه ويفهمه خطورة الوضع، لكن مع ذلك لم ينجح⁽³⁾.

في أواخر شهر رمضان عام 1385هـ الموافق 15 يناير من عام 1966م في منتصف الليل هاجم الانقلابيون المجرمون منزل أحمد بلو سَرْدُونًا وقتلوا عدداً من حُرّاسه من الشّرطة وغيرهم، وقتلوا كلّ من صادفوه من المدنيّين في مسرح الحدث في ذلك الوقت حتّى نفّذوا إلى غرفة نوم (سَرْدُونًا) ، ووجدوه جالساً وبإزائه إحدى زوجاته (حفصة) ففرّغوا عليه سيلاً من الرّصاص، وعلى زوجته فأردوها قتيلاً، ثم أشعلوا النيران على المنزل. وفي نفس العمليّة اغتالوا عدداً من أنصاره وعلى رأسه رئيس

(1) انظر : المصدر السابق، ص655، وجومي : ص132.

(2) جومي: ص133.

(3) انظر : Paden, Ibid, pp 657, 658.

الوزراء النيجيري أبو بكر تَفَاوَا بَلِيوَا، ورئيس وزراء الإقليم الغربي صمويل أَكَنْتُولَا، واللّواء زكريا مَيْلَارِي، واللّواء إديموليغون، والعقيد محمد قِرُو ويعقوب فام وغيرهم من الموالين لسَرْدُونَا من المدنيين والعسكريين في مختلف الأقاليم.

وقد هرب رئيسُ الجمهورية (د. إزيكوي) إلى لندن في إجازة مُصنَّعة، ومن هناك أملى على نائبه أن يسلم الحكومة إلى الجيش ريثما يعود الأمن والاستقرار إلى البلاد، وكان القائد الأعلى لقوات نيجيريا رجلاً من قبيلة إيبوا يسمى (إرونسي)⁽¹⁾. وهكذا تمّ لهم ما أرادوا في إنقلابٍ دامٍ راح ضحيّته رجالٌ شرفاء مخلصون لدينهم وأمتهم.

ويذكر الشّيخ أبو بكر محمود جومي أنه في لقائه مع الجنرال (إنزيغو) الذي قاد تنفيذ عمليّة اغتيال (سَرْدُونَا) ذكر له مسوّغات جريمته كالتالي :

1- أن (سَرْدُونَا) يخطّط للقيام بالجهاد المسلّح ضدّ غير المسلمين في نيجيريا؛ لإكراههم على الإسلام، وأنّه استورد أسلحةً من الدّول العربيّة لهذا الغرض.

2- أنّه وأنصاره كانوا ظلماً وسُراًفاً ينهبون الأموال العامّة، وأنهم خونة للبلاد.

3- أنّه يُعطي الامتيازات في الوظائف الحكوميّة في الشّمال لأبناء الشّمال دون غيرهم.

4- أنّ الشماليين قد سيطروا على الوظائف في الحكومة الفيدراليّة مع أنّ الإحصائيات التي أجريت عام 1965م قبل اغتيال (سَرْدُونَا) بسنةٍ واحدةٍ تُؤكّد بأنّ مجموع الموظّفين الشماليين في وظائف الحكومة الفيدراليّة لا يجاوز عددهم 3,6% مع أنّ الشّمال يشكّل نصفَ سكّان نيجيريا⁽²⁾.

هكذا سوّغ هذا المجرم الأثيم إجرامه، لكن من المعلوم للجميع أنّ الدّافع الرئيس لهذه الجريمة ليس سوى تمسّك هذا الرّجل بدينه، وسعيه أن يرى أمّته رافعةً رأسها متمكّنةً في أرضها تحكّم شرعها، وسعيه في نشر الإسلام في بلاده وفي ربوع إفريقيا جميعاً، وموقفه الواضح من دولة إسرائيل الذي لا يخفيه في أيّ مناسبة يُسأل عنه ، فقد سأله أحدُ الصّحفيين عن حجم العلاقات بين بلاده وإسرائيل، فأجاب بغضبٍ: «ما هي إسرائيل؟!».

(1) انظر : Paden, Ibid, pp 658, 662 والإلوري: الإسلام في نيجيريا، ص162.

(2) انظر : جومي : المصدر السابق، ص144، 145، 146.

واستطرد بعد فترة من الصمت بقوله: «بالنسبة لتفكيري أن إسرائيل غير موجودة، وهي لن توجد أبداً، ولا أعرف ما هي»⁽¹⁾.

وهو الذي يقول في خطاب ألقاه أمام جمع من العلماء في افتتاح لجنة الشورى الإسلامية في كادونا في أغسطس 23، عام 1963م: «أريد أن أقول لكم: إن الحكومة التي أنا رأسها، ليس من نيتها أن تقوم بفعل أي شيء مخالف للإسلام، وأنا نفسي كرئيس لا أملك صالحيّة فوق ديننا، وكونوا على يقين بأنني لن أكون أبداً شريكاً في أي عمل يُناقض الإسلام أو يخالفه...»⁽²⁾.

وقد أصدر الملك فيصل بن عبد العزيز أمره بصلاة الغائب في جميع مساجد المملكة من بينها المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوي بالمدينة، كما صلّي عليه أيضاً في المسجد الأقصى بالقدس، وذلك في يوم الجمعة غرة شوال سنة 1385هـ⁽³⁾. كما صلّي عليه صلاة الغائب أيضاً في بعض العواصم العربيّة والإسلاميّة.

تاسعاً : من أقوال قادة العمل الإسلامي في العالم حول (أحمد بلو سردونا)

:

● فضيلة الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله :

«... وكان هذا الزعيم الراحل في طليعة أولئك الزعماء الذين نهضوا ببلادهم وسلك منهج الدعوة الإسلاميّة تربط حاضرها بماضيها في ظلّ الدعوة بالحسنى والحكمة والموعظة الحسنة، فأخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجا...»⁽⁴⁾.

● سعادة الشيخ صالح قزاز وكيل الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي:

«... رحم الله أحمدو بيلو لقد كان طوداً شامخ الذرى ، وحصناً من حصون الإسلام في تلك البلاد... عاش ومات وهو ثابت على دعوة الحق، هدى الله به من الضلالة من هدى، وأسلم على يديه مئات الألوف. كان مخلصاً في دعوته إلى أقصى حدود الإخلاص، ولذلك كانت دعوته تسري في القلوب سريان الكهرباء. كان رجلاً جِدَّ وصرامة في الحق... إنه لا

(1) الشهيد الحاج أحمدو بلو، (ص89).

(2) Amune, Stephen A., *Work and Worship, Selected Speeches Of Ahmadu Bello, Sardauna of Sokoto*, (1986) Zaria, Nigeri, p.178.

(3) انظر : الشهيد أحمدو بلو، ص6.

(4) المصدر السابق، ص102.

يُرسل الكلام جُزأفًا؛ لأنّه يعني ما يقول، ولا ينطق بالكلمة حتّى يعرف موقعها من نفوس سامعيه»⁽¹⁾.

● الشيخ علاّل الفاسي رحمه الله:

«... أحمد بلو الذي يقف أمام الناس ليعرض برامجه لخدمة الإسلام ومقاومة التبشير المسيحي في بلاده، الرجل الذي يصرخ ضدّ الصهيونية والمتعاونين معها في إفريقيا. لقد سمعت أحمد بلو يتكلم في المؤتمر الإسلامي بمكة المكرمة في العام الماضي، ولم أتمالك أن حمدت الله على أن جعل في المسلمين من يصدع بالحقّ مثل ذلك الرجل...»⁽²⁾.

● الأستاذ حسن كتبي رحمه الله:

«... لقد دخل بدعوته كثيرون في هذا الدين، واستقام بدعوته كثيرون من المضلّين وسعى نور اليقين بين يديه حتى عرف بإيمانه أكثر مما عرف بمكانه...»⁽³⁾.

● الأستاذ عليّ حافظ رحمه الله:

«... لقد تمكّن الإسلام من نفس هذا الرجل وتغلغل الإيمان في قلبه، وسرى حبّ الله ورسوله فيه سريان الدّم في الجسم فانطلق يجاهد في خدمة الإسلام والمسلمين...»⁽⁴⁾.

● الأستاذ فؤاد شاكر رحمه الله:

«... المجاهد المسلم الكبير.. والبطل الشهيد الذي وقف وحده بين ملايين المسلمين والمبشرين ينضح عن دين العزّة والكرامة، ويزود عن شريعة محمّد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه...»⁽⁵⁾.

وكتبت عنه مجلّاتٌ عربيّة وإسلاميّة، منها: مجلّة المجتمع اللبنانيّة بعنوان: (شهيّد في موكب الخالدين)، وجريدة المنار الأردنيّة بعنوان: (دمعة على العرب والمسلمين)، وجريدة العلم المغربيّة بعنوان: (الحاج أحمد بيلو كان داعية للإسلام وعدوًّا للصّهونية)، وجريدة عكاظ السّعوديّة بعنوان: (رحمك الله يا أحمدو بيلو)، وجريدة الميثاق السّودانيّة، وجريدة الشّمس السّيلانيّة (السريلاكية)، وغيرها⁽⁶⁾.

(1) المصدر السابق، ص 37-38.

(2) المصدر السابق، ص 46.

(3) المصدر السابق، ص 49.

(4) المصدر السابق، ص 60-61.

(5) المصدر السابق، ص 71.

(6) انظر: المصدر السابق، ص 84-105.